

من آداب قراءة القرآن.. التفكير



من آداب قراءة القرآن حضور القلب، وأيضاً من الآداب المهمة لها: التفكير، والمقصود من التفكير أن يتحسس من الآيات الشريفة المقصد والمقصود، وحيث أن مقصد القرآن كما تقوله نفس الصحيفة النورانية هو الهداية إلى سبل السلام والخروج من جميع مراتب الظلمات إلى عالم النور، والهداية إلى طريق مستقيم فلا بد أن يحصل الإنسان بالتفكير في الآيات الشريفة مراتب السلامة من المرتبة الدانية والراجعة إلى القوى الملكية إلى منتهى النهاية فيها وهي حقيقة القلب السليم على ما ورد تفسيره عن أهل البيت وهو أن يلاقي الحق وليس فيه غيره وتكون سلامة القوى الملكية والملكويتية ضالة قارئ القرآن فإنها موجودة في هذا الكتاب السماوي ولا بد أن يستخرجها بالتفكير، وإذا صارت القوى الإنسانية سالمة عن التصرف الشيطاني وتحصل طرق السلامة وعمل بها ففي كل مرتبة من السلامة تحصل له ينجو من ظلمة ويتجلى فيه النور الساطع الإلهي قهراً حتى إذا خلس عن جميع أنواع الظلمات التي أوّلها ظلمات عالم الطبيعة بجميع شؤونها وأخرها ظلمة التوجّه إلى الكثرة بتمام شؤونها يتجلى النور المطلق في قلبه ويهديه إلى طريق الإنسانية المستقيم وهو في هذا المقام طريق الرب (إِنَّ رَبِّيَ عَلَّمَنِي صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا) (هود/ 56).

وقد كثرت الدعوة إلى التفكير وتمجيده وتحسينه في القرآن الشريف قال تعالى: (وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) (النحل/ 44). وفي هذه الآية مدح عظيم للتفكير، لأن غاية إنزال الكتاب العظيم السماوي والصحيفة العظيمة النورانية قد جعلت احتمال التفكير وهذا من شدة الاعتناء به حيث أن مجرد احتماله صار موجِباً لهذه الكرامة العظيمة، وقال تعالى في الآية الأخرى: (فَأَقْصَصْ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) (الأعراف/ 176).

والآيات من هذا القبيل أو ما يقرب منه كثيرة والروايات أيضاً في التفكير كثيرة. فقد نقل عن الرسول الخاتم (ص) أنه لما نزلت الآية الشريفة (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ) (آل عمران/ 190)، إلى آخرها.. قال (ص): "ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها".

والعمدة في هذا الموضوع أن يفهم الإنسان ما هو التفكير الممدوح، وإلا لا شك في أن التفكير ممدوح في القرآن والحديث، فأحسن التعبير فيه ما عبّر به الخواجة عبداً الأنصاري قال: اعلم أن التفكير تلمس البصيرة لاستدراك البغية، يعني أن التفكير هو تحسس البصيرة وهي بصر القلب للوصول إلى

المقصود والمقصود هو السعادة المطلقة التي تحصل بالكمال العلمي أو العملي فلا بدّ للإنسان أن يتحصل على المقصود والنتيجة الإنسانية وهي السعادة في الآيات الشريفة للكتاب الإلهي وفي قصصه وحكاياته وحيث أنّ السعادة هي الوصول إلى السلامة المطلقة وعالم النور والطريق المستقيم فلا بدّ للإنسان أن يطلب من القرآن المجيد الشريف سبل السلامة ومعدن النور المطلق والطريق المستقيمة كما أشير إليها في الآية الشريفة السابقة، فإذا وجد القارئ المقصد وتبصّر في تحصيله وانفتح له طريق الاستفادة من القرآن الشريف وفتحت له أبواب رحمة الحق فإنّه لا يصرف عمره القصير العزيز ورأس مال تحصيل سعادته على أمور ليست مقصودة لرسالة الرسول ويكف عن فضول البحث وفضول الكلام، في مثل هذا الأمر المهم فإذا أشخص بصيرته مدّه إلى هذا المقصود وصرف نظره عن سائر الأمور تتبصّر عين قلبه ويكون بصره حديداً ويكون التفكير في القرآن للنفس أمراً عادياً وتنفّس طرق الاستفادة وتفتح له أبواب ليست مفتوحة له إلى الآن، ويستفيد مطالب ومعارف من القرآن ما كان يستفيد منها إلى الآن بوجه، فحين ذاك يفهم كون القرآن شفاء للأمراض القلبية، ويدرك مفاد الآية الشريفة (وَنُذِرْ لَّكَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْعَالَمِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا) (الإسراء / 82)، ومعنى قول أمير المؤمنين (ع) "وتعلموا القرآن فإنّه ربيع القلوب واستشفعوا بنوره فإنّه شفاء الصدور" ولا يطلب من القرآن شفاء الأمراض الجسدية فقط بل يجعل عمدة المقصد شفاء الأمراض الروحية الذي هو مقصد القرآن بل القرآن ما نزل لشفاء الأمراض الجسدية وإن كان يحصل به كما أنّ الأنبياء لم يبعثوا لشفاء الجسماني وإن كانوا يشفون فهم أطباء النفوس والشافين للقلوب والأرواح.